



كلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
Islamic Studies & College of Sharia

مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
Journal of college of Sharia & Islamic Studies

مجلة علمية محكمة  
Academic Refereed Journal  
العدد ( ٢٦ ) ٢٠٠٨ م - 2008 Vol.(26)

## حديث القرآن عن الفتح وأنواعه وهداياته

أ.د. / عيادة بن أيوب الكبيسي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

كلية الشريعة - جامعة الشارقة

الإمارات العربية المتحدة

## ملخص البحث

تناول البحث كلمة (فتح) ومشتقاتها في القرآن الكريم، وبعد أن تأمل الباحث في ذلك اجتهد في رد تلك الكلمات إلى ثلاث مجموعات.

ضمت المجموعة الأولى الآيات التي تتحدث عن فتح الله تعالى على عباده في الدنيا، ويعود في مجمله إلى قسمين، الأول: فتح النعم لعباد الله المتقين، والثاني: فتح العذاب على عباده المعاندين.

وضمت المجموعة الثانية الآيات التي تتحدث عن الفتح بالعذاب الذي يلحق الطغاة والكافرين، وذلك لدى اقتراب قيام الساعة.

وضمت المجموعة الثالثة الآيات التي تتحدث عن الفتح في الآخرة، ويعود في مجمله إلى قسمين، الأول: فتح أبواب الجنة والنعيم لأهل التقوى والإيمان، والثاني: فتح أبواب النار والعقاب لأهل الكفر والضلال.

وفي البحث تفصيل لكل ما تقدم، واستخلاص للدروس والعظات والعبر، وخاتمة فيها أهم ما أسفر عنه البحث من نتائج.

## Research Summary

**This research paper (The Quraan speech on (opening), its types and guidance) deals with the word (open) and its derivatives in the Holy Quraan.**

**The researcher studied that and managed to distinguish three groups of these words.**

**The first group included the verses that talk about how Allah opens for His slaves in this world, and this is divided into two parts, first: the opening of bliss for the righteous slaves of Allah, and the second: the opening of the suffering for wayward slaves.**

**The second group included the verses that talk about opening the punishment suffered by tyrants and disbelievers, when The Hour approaches.**

**The third group included the verses that talk about the opening in the Hereafter, and this is divided into two parts, first: the opening of the gates of Heaven and bliss for the people of piety and faith, and the second: the opening of the gates of fire and punishment for the people of infidelity and misguidance.**

**In the research paper details for each of the above, and guidance from those verses and a description of the lessons that can be learned, and a conclusion in which the most important outcome of the search results is stated.**

الحمد لله الفتح العليم ، القادر على كل شيء سبحانه العزيز الحكيم، وصلى الله وسلم على نبيه ذي الفتح المبين، وعلى آله وأصحابه، وأنصاره وأحبابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد:

فإن كلمة (فتح) ومشتقاتها من الألفاظ الدائرة في الكتاب المجيد، وقد جاءت في سياقات متنوعة، وكانت لها دلالات متعددة، منها ما يتعلق بالله سبحانه وتعالى، ومنها ما له تعلق بالدنيا، ومنها ما له تعلق بالآخرة، ومنها ما هو تعليم من الله تعالى لعباده ... إلخ.

وبما أنني لم أقف على من كتب بحثاً أو رسالة بهذا الخصوص، مع أن الموضوع جدير بذلك، رأيت أن أدلي بدلوي المتواضع في تتبع هذه الكلمة {فتح} ومشتقاتها في الكتاب الكريم، وقد حصرت الموضوع في تقسيم الآيات الواردة في ذلك إلى مجموعات مبيناً المراد بالفتح في كل آية ونوعه، ثم أفسر الآية مركزاً على ما توحى به كلمة فتح أو مشتقاتها، ومشيراً إلى ما في كل مجموعة من عبر ودروس ، وإرشاد وهدايات.

وقد حاولت أن أسير في هذا البحث على غرار ما كتبتّه في بحثي: "النصر في القرآن .. الأسباب والمعوقات"<sup>١</sup>.

فجاءت خطة البحث وفق النقاط الآتية:

١- المقدمة.

٢- المعنى اللغوي لكلمة "فتح".

<sup>١</sup> نشرته مجلة الأحمديّة التي تصدر عن دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي، في عددها الأول سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٣- آيات الفتح وتقسيمها إلى مجموعات.

٤- هدايات كل مجموعة ودلالاتها.

٥- الخاتمة.

فنسأل الله تعالى الفتح والتوفيق، فهو وحده جل وعلا الموفق والمستعان.



## المعنى اللغوي لكلمة الفتح

بالرجوع إلى معاجم اللغة تبين أن:

الفاء والتاء والحاء أصل صحيح - كما يقول ابن فارس - يدل على خلاف الإغلاق<sup>١</sup>، وفتح - بفتح أوله وثانيه - كمنع ضد أغلق، يقال: فتح الباب يفتحه فتحاً، وافتتحه فانفتح، خلاف أغلقه، وفتحته فانفتح وفتحته، وفتحته فانفتح، وباب مفتوح خلاف المردود والمقفل، وفتح الأبواب شدد للكثرة، فتفتحت هي، والفتح: الماء الجاري والنصر، والاستفتاح: الاستنصار والافتتاح، وفتح الله عليه: نصره، وفاتحة كل شيء: مبدؤه الذي يفتح به ما بعده، وبه سمي فاتحة الكتاب، ويقال: افتتح فلان كذا: ابتدأه<sup>٢</sup>.

والمفتاح: مفتاح الباب وكل مستغلق. والجمع مفاتيح ومفاتيح أيضاً، والفتاح: الحاكم. وتقول: افتح بيننا، أي احكم<sup>٣</sup>، يقال: ما أحسن فتاحته أي حكومته، وبينهما فتاحات أي خصومات، وفلان ولي الفتاحة - بالكسر - وهي ولاية القضاء، ومن المجاز: الفتح: الماء المفتوح إلى الأرض ليسقى به، وقال أبو حنيفة: هو الماء الجاري على وجه الأرض<sup>٤</sup>.

والفتح: النصر، وفتح السلطان البلاد: غلب عليها وتملكها، وفتح الله على نبيه صلى الله عليه وسلم نصره، وفي صلح الحديبية: أهو فتح؟ أي نصر<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> انظر معجم مقاييس اللغة ٤/٤٦٩، بصائر ذوي التمييز ٤/١٦٤.

<sup>٢</sup> انظر في معاجم اللغة: السابق، والصحاح ٢/٣٢، أساس البلاغة ص ٤٦٢، القاموس المحيط

١/٤٧٩، لسان العرب ٢/٥١٦، المصباح المنير ٢/٤٦١ مادة: فتح.

<sup>٣</sup> الصحاح ٢/٣٢ مادة: فتح.

<sup>٤</sup> تاج العروس ١/١٦٩١ مادة: فتح.

<sup>٥</sup> انظر المصباح المنير ٢/٤٦١ مادة: فتح.

والاستفتاح الاستنصار، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتَحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾<sup>١</sup> ، ويجوز أن يكون معناه: إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء، قال الزبيدي: وقد جاء التفسير بالمعنيين جميعاً<sup>٢</sup>.

ومن أسماء الله تعالى الحسنی: {الفتاح}، وهو الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده، وهو من أبنية المبالغة<sup>٣</sup>، وفتح بين الحق والباطل، فأوضح الحق وبينه وأدحض الباطل وأبطله سبحانه وتعالى، وقالوا: الفتح الذي فتح قلوب عباده المؤمنين بمعرفته، وفتح على العصاة أبواب مغفرته، قال تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ﴾<sup>٤</sup>.

والفتح : توسعة الضيق حسا ومعنى<sup>٥</sup>.

وكما التقى الفتح والنصر في معنى الظفر التقيا في معنى المطر فقالوا : قد فتح الله علينا فتوحا كثيرة: تتابعت الأمطار<sup>٦</sup>.

ومن خلال ما تقدم في قواميس اللغة، يمكن أن نحدد المعنى الشامل للفتح، وهو — كما يقول الراغب — : إزالة الإغلاق والإشكال ، وذلك ضربان:

أحدهما : يدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه .

١ سورة الأنفال، آية: ١٩ .

٢ تاج العروس ١٦٩١/١ مادة: فتح.

٣ النهاية ٤٠٦/٣-٤٠٧ مادة: فتح.

٤ سورة سبأ، آية: ٢٦، وانظر شرح أسماء الله الحسنی: للإمام الزجاج، وللإمام فخر الدين الرازي، وللشيخ أحمد عبد الجواد - الاسم الكريم: (الفتاح).

٥ انظر التوقيف على مهمات التعاريف ص ٥٤٩، وانظر نظم الدرر للبقاعي فيما نقله عن الحرالي ١٧٦/١.

٦ انظر الفائق في غريب الحديث ١٦/٣. مادة الفاء مع التاء.

**والثاني** : يدرك بالبصيرة كفتح الهمّ وهو إزالة الغم ، وذلك ضروب، منها: فتح المستغلق من العلوم، نحو قولك: فلان فتح من العلم بابا مغلقاً<sup>١</sup>.

وقال ابن عطية: والفتح في اللغة ينقسم أقساماً تجمعها بالمعنى التوسعة وإزالة الإبهام، وإلى هذا يرجع الحكم وغيره<sup>٢</sup>.

**والفتح المبين** : ما يفتح على العبد في مقام الولاية، وتجليات الأسماء الإلهية<sup>٣</sup>.

وبناء على ما تقدم من المعاني اللغوية لكلمة "فتح"، نجد أن هذه الكلمة تأتي لمعان متعددة، وقد حرصنا على نقل ما له تعلق بموضوع بحثنا، حيث إن كل ما نقلناه عن تلك المعاجم وغيرها، يتفق مع ما نحن بصده من بيان معاني كلمة {فتح} في القرآن الكريم، كما سنرى لدى تفسير الآيات وبيان هداياتها.

## **تقسيم كلمات الفتح**

### **في القرآن إلى مجموعات**

لدى التأمل في كلمة {فتح} ومشتقاتها الدائرة في الكتاب العزيز، والمبثوثة في سور متعددة منه، اجتهدت في ردها إلى ثلاث مجموعات، وذلك على النحو الآتي:

#### **المجموعة الأولى : الفتح في الدنيا.**

ويراد بهذا الفتح تلك الآيات الكريمة التي تتحدث عن نعم الله تعالى التي فصح بها على عباده المتقين في هذه الحياة ، سواء أكانت نعماً مادية أم معنوية، وأيضاً

<sup>١</sup> انظر مفردات القرآن ص ٦٢١ مادة فتح - باختصار.

<sup>٢</sup> انظر المحرر الوجيز ٣٦١/١.

<sup>٣</sup> انظر التوقيف على مهمات التعاريف ص ٥٤٨.



ما فتح الله تعالى على عباده المعاندين من ألوان العذاب مما عجله لهم في الدنيا قبل الآخرة ، ومنه ما كان من ذلك على طريق الاستدراج ، ولذا فسُنقِسم هذه المجموعة إلى قسمين :

**القسم الأول:** ما فتح الله تعالى به على عباده من النعم - سواء كانت حسية أم معنوية - ، ونوردها حسب ترتيبها في المصحف الشريف، ومجموعها اثنتا عشرة آية على النحو الآتي:

قوله تعالى:

١- ﴿أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون﴾  
البقرة/٧٦<sup>١</sup>

٢- ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ البقرة/٨٩.

٣- ﴿فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فألله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾ النساء/١٤١.

٤- ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ الأعراف/٩٦.

<sup>١</sup> هذه الآية الكريمة يمكن أن تدرج في هذا القسم وفي القسم الثاني، وذلك بناء على اختلاف المفسرين بالمراد بقوله تعالى: {بما فتح الله عليكم}، فالقولان الأولان - كما سيأتي في هدايات هذه المجموعة - يرجحان أن تذكر هنا، لأن الفتح هنا بمعنى النعم، وقول السدي يرجح أن تذكر في القسم الثاني لأن الفتح هناك يراد به العذاب، فلزم التنبيه.

- ٥- ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ المائدة/ ٥٢.
- ٦- ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فاطر/ ٢
- ٧- ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ الفتح/ ١.
- ٨- ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح/ ١٨.
- ٩- ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح/ ٢٧.
- ١٠- ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ الحديد/ ١٠.
- ١١- ﴿وَأُخْرَى تَحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ الصف/ ١٣.
- ١٢- ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ سورة النصر.

وهذه الآيات الكريمة وإن كان كل آية منها تتحدث في سياقها الخاص وفي قضية معينة ، إلا أنها تشير إلى هدف مشترك وهو: بيان نعم الله تعالى على عباده، وأنها منه وحده لا شريك له، ومقتضى ذلك أن يقوموا بشكرها واستعمالها في طاعته، وأن يحذروا كفر ذلك وجوده، وسنبين معاني هذه الآيات وما ترمي إليه — إن شاء الله تعالى — في فقرة الهديات.

**القسم الثاني :** ما فتح الله تعالى على عباده المعاندين من النقم – سواء كانت نعماً جاءت على طريق الاستدراج، أم نقماً عجلت لهم في الدنيا، ومجموعها سبع آيات على النحو الآتي:

قوله تعالى:

- ١- ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾ الأعمام/٤٤ .
- ٢- ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين﴾ الأعراف/٤٠ .
- ٣- ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ الأعراف/٨٩ .
- ٤- ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم﴾ الأنفال/١٩ .
- ٥- ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾ إبراهيم/١٥ .
- ٦- ﴿فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين﴾ الشعراء/١١٨ .
- ٧- ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ القمر/١١ .

وهذه الآيات وإن كان كل آية منها تتحدث في موضوع معين، إلا أنها تشير إلى هدف مشترك وهو: ما أعد الله تعالى لعباده المعاندين من عذاب شديد في الدنيا قبل الآخرة، سواء كان مباغتاً، أم بعد استدراج، أم إجابة لدعوة أنبيائهم، أم بناء على طلبهم، أم كان من العقوبة المعنوية كما هو واضح من هذه الآيات، وما سيأتي تفصيله بإذن الله تعالى في فقرة الهدايات.

## المجموعة الثانية : الفتح لدى اقتراب الساعة.

وتندرج تحت هذه المجموعة أربع آيات على النحو الآتي:

قوله تعالى :

- ١- ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِمَّنْ كُلِّ حَذْبٍ يُنْسَلُونَ ﴾ الأنبياء/٩٦.
- ٢- ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ المؤمنون/٧٧
- ٣- ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ السجدة/ ٢٩ و ٣٠.
- ٤- ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ النبأ/ ١٩.

وما قيل في آيات المجموعة السابقة يقال في آيات هذه المجموعة، من أن هذه الآيات وإن كان كل آية منها تتحدث عن حدث بعينه، إلا أنها تشير إلى هدف مشترك وهو: العذاب الذي يلحق المعاندين ويكون علامة على قرب قيام الساعة.

## المجموعة الثالثة : الفتح في الآخرة.

ومنه ما يكون لأهل الإيمان، ومنه ما يكون لأهل الكفر، وتندرج تحت هذه المجموعة أربع آيات، على النحو الآتي:

قوله تعالى:

- ١ - ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ ﴾ سبأ/ ٢٦.

٢- ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ الزمر/٧١.

وما قيل في آيات المجموعة السابقة يقال في آيات هذه المجموعة، من أن هذه الآيات وإن كان كل آية منها تتحدث عن حدث بعينه، إلا أنها تشير إلى هدف مشترك وهو: العذاب الذي يلحق المعاندين ويكون علامة على قرب قيام الساعة.

### المجموعة الثالثة : الفتح في الآخرة.

ومنه ما يكون لأهل الإيمان، ومنه ما يكون لأهل الكفر، وتندرج تحت هذه المجموعة أربع آيات، على النحو الآتي:

قوله تعالى:

- ١- ﴿قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتح العليم﴾ سبأ/٢٦.
- ٢- ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ الزمر/٧١.
- ٣- ﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب﴾ ص/٥٠<sup>١</sup>
- ٤- ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ الزمر/٧٣

<sup>١</sup> سورة ص مقدمة في ترتيب المصحف على سورة الزمر، غير أنني أدرتها هنا لأجمع الحديث عن الجنة وأختم به، جعلنا الله تعالى من أهلها بفضله وكرمه أمين.

وهذه الآيات تتحدث بوضوح عن أحوال الناس يوم القيامة، وأنهم فريقان، فريق في الجنة وفريق في السعير.

فالأولى تشير إلى الفصل بين الفريقين، وأن الله تعالى هو الحاكم الذي يقضي بالحق، ويحكم بالعدل، لا معقب لحكمه سبحانه وتعالى، ولا راد لقضائه.

والثالثة والرابعة في أهل الإيمان وما أعد الله تعالى لهم بفضل من النعيم.

والثانية في أهل الكفر وما أعد لهم بعدله من الجحيم<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> ملحوظة: بقي من مشتقات الفتح خمس آيات وهي قوله تعالى:

- ١- {وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو} الأنعام/٥٩.
  - ٢- {ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون. لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون} الحجر/١٥١ و١٤.
  - ٣- {ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم} يوسف/٦٥.
  - ٤- {أوما ملكتم مفاتيحه} النور/٦١.
  - ٥- {وأتيناه من الكنوز ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولي القوة} القصص/٧٦.
- لا أراها تندرج تحت عنوان البحث، فأحببت التنبيه إلى ذلك هنا، ويمكن أن نشير إلى ما ترمي إليه هذه الآيات الكريمة باختصار، فنقول وبالله التوفيق: أما الآية الأولى: فالمفاتيح جمع مفتاح وهو المفتاح، جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة، لأن المفاتيح يتوصل بها إلى ما في الخزائن المستوثق منها بالأغلال والأقفال، ومن علمه الله مفاتيحها وكيفية فتحها توصل إليها، فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده، ويدخل في ذلك العذاب والرزق وما غاب من الثواب والعقاب والأجال، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مفاتيح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير) أخرجه البخاري برقم ٤٦٢٧ في كتاب التفسير - باب وعنده مفاتيح الغيب ٢١٢/١٠، وانظر الأساس في التفسير ١٦٥٥/٣.
- وأما الثانية: فتشير إلى تعنت المشركين، وأنهم لو ظلوا يصعدون في تلك المعارج، وينظرون إلى ملكوت الله تعالى وقدرته وسلطانه، وإلى عبادة الملائكة الذين هم من خشيته مشفقون لشكوا في تلك الرؤية وبقوا مصرين على كفرهم وجهلهم. انظر التفسير الكبير ١٧١/١٩.

وأما الثالثة: فأمرها واضح، وهي في قصة يوسف عليه السلام وإخوته، وهذا من الفتح الذي يدرك بالبصر. انظر مفردات القرآن ص ٦٢١.

وأما الرابعة: فالمفاتيح جمع مفتاح - بفتح الميم - وهو الخزنة التي توضع فيها الكنوز، والمراد: ما حزنتم وصابر في قبضتكم. انظر المحرر الوجيز ٥٤٩/١٠ وانظر فيه هامش ١.

## آيات المجموعة الأولى وهداياتها

### القسم الأول :

الآية الأولى والثانية ، وهما قوله تعالى :

﴿أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون﴾ البقرة/٧٦ .  
﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به  
فلعنة الله على الكافرين﴾ البقرة/٨٩ .

تتكلم الآية الأولى والثانية في هذه المجموعة من القسم الأول عن قبائح أفعال المنافقين من اليهود، الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وما كانوا عليه من المضادة للنبي صلى الله عليه وسلم، والعداء للمسلمين.

أما الآية الأولى وصدورها {وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم}، فتتحدث عما كان يدور بين اليهود في مجالسهم الخاصة، وما كان يسرّ به بعضهم إلى بعض، وقد ورد في بيان المراد بالفتح هنا ثلاثة أقوال عن التابعين رحمهم الله تعالى:

١ - ما أخبرهم الله تعالى به في التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وعرفهم إياه، وبه قال قتادة وأبو العالية، ومفاده: أن بعض اليهود تكلم بما في التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لهم كفره الأخبار: أتحدثونهم

---

وأما الخامسة: فالمفاتيح جمع مفتاح أو مفتاح - بكسر الميم - وهو ما يفتح به، والعصبة الجماعة الكثيرة، وفي ذلك إشارة إلى كثرة كنوز قارون واختلاف أصنافها، وقيل: بل عني بالمفاتيح الخزائن أنفسها، وأحدها مفتاح - بفتح الميم - كما تقدم. انظر مفردات القرآن ص ٦٢٢، بصائر ذوي التمييز ١/١٦٥، والتفسير الكبير ٢٥/١٦٥، وانظر التحرير والتنوير ٢٠/١٧٦.

بما فتح الله عليكم أي عرفكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فيحتجون عليكم إذ تقرّون به ولا تؤمنون به، وعلى هذا يكون معنى فتح علم وعرف، والتعبير عنه بالفتح - كما يقول أبو السعود - للإيدان بأنه سر مكنون، وباب مغلق لا يقف عليه أحد<sup>١</sup>.

٢- ما أخبرهم به من تعذيب بعض أسلافهم، وبه قال السدي<sup>٢</sup>، ومفاده: أن بعض اليهود حكى لبعض المسلمين ما عذب به أسلافهم، فقال بعض الأخبار: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب فيحتجون عليكم ويقولون: نحن أكرم على الله حين لم يفعل بنا هذا؟ وفتح على هذا التأويل بمعنى حكم.

٣- ما أنزل عليهم في التوراة من الأخبار، وبه قال عبد الرحمن بن زيد، ومفاده: أن اليهود كانوا إذا سئلوا عن شيء قالوا: في التوراة كذا وكذا، فكرهت الأخبار ذلك ونهوا في الخلوة عنه ففيه نزلت الآية.

ذكر هذا ابن عطية رحمه الله تعالى وقال: والفتح في اللغة ينقسم أقساماً تجمعها بالمعنى التوسعة وإزالة الإبهام، وإلى هذا يرجع الحكم وغيره<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> انظر إرشاد العقل السليم ١/١١٧، ونقله الألويسي في روح المعاني ١/٤٧٢. وعلى هذا القول يمكن أن تدرج هذه الآية أيضاً في القسم الثاني، الذي يتحدث عن ما فتح الله تعالى على عباده من العذاب.

<sup>٢</sup> انظر المحرر الوجيز ١/٣٦٠-٣٦١، وذكر البقاعي في نظم الدرر ١/١٧٦ القولين الأولين، وتقدم في المعنى اللغوي لكلمة "فتح" ما نقله عن الحرالي من أن الفتح يعني: توسعة الضيق حساً ومعنى، وانظر ما أخرجه ابن جرير الطبري عن أبي العالية رقم ١١٠٩، وقتادة رقم ١١١٠، ومجاهد رقم ١١١٢ و ١١١٣، والسدي رقم ١١١٤، وعبد الرحمن بن زيد رقم ١١١٥، وذكر ابن جرير بعد أن نقل هذه الروايات وغيرها: أن أصل الفتح في كلام العرب النصر والقضاء والحكم، وأن المعنى: أتحدثونهم بما حكم الله به عليكم وقضاه فيكم؟ ومن حكمه جل ثناؤه عليهم ما أخذ به ميثاقهم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم. انظر جامع البيان ١/٥٢٣-٥٢٦.



وهذه الأقوال متقاربة، ترجع إلى ما أكرمهم الله تعالى به من إنزال التوراة التي جعلها هدى ونورا لهم لو أنهم أقاموها وعملوا بهداياتها، كما قال تعالى: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾ الآية. المائدة/ ٤٤ .

وأما الآية الثانية فتبين ما كان عليه اليهود من حال عجيبة حيث كذبوا بالكتاب والرسول الذي كانوا يترقبون مجيئه، وينتظرون النصر به!! وقد ورد في بيان المراد بالفتح هنا معنيان:

- ١ - الاستنصار، وذلك أن اليهود كانوا إذا قاتلوا المشركين أي من أهل المدينة استنصروا عليهم بسؤال الله أن يبعث إليهم الرسول الموعود به في التوراة.
- ٢ - العلم والإخبار، وذلك أن اليهود كانوا يخبرون المشركين بأن رسولا سيبعث فيؤيد المؤمنين ويعاقب المشركين.

وقال البقاعي - رحمه الله تعالى - : أي يسألون الله الفتح بالاسم الآتي به تيمناً بذكره<sup>١</sup>.

ثم بين ربنا تبارك وتعالى حالهم فقال: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ أي ما كانوا يستفتحون به، أي لما جاء الكتاب الذي عرفوه كفروا به، ذكر هذا ابن عاشور رحمه الله تعالى وقال: وقد عدل عن أن يقال: فلما جاءهم الكتاب ليكون اللفظ أشمل فيشمل الكتاب والرسول الذي جاء به، فإنه لا يجيء كتاب إلا مع رسول<sup>٢</sup>،

<sup>١</sup> انظر نظم الدرر ١/١٩١.

<sup>٢</sup> انظر التحرير والتنوير ١/٦٠١-٦٠٢، وفيه: فالسين والتاء لمجرد التأكيد، مثل زيادتهما في استعصم واستصرخ واستعجب.

وهذه كالتي قبلها من العلم النافع الذي منّ الله تعالى به على اليهود بما أنزل على نبيهم موسى عليه السلام.

وبهذا يتبين أن هذا الفتح الرباني وهذه النعم المتنوعة إنما هو من الفتح المعنوي، حيث إن الله تعالى أنعم على بني إسرائيل بالتوراة التي أنزلها عليهم وجعلها هدى ونورا لهم، وأخبرهم فيها عما يوصلهم إلى الهداية، وما يحفظ لهم الأفضلية العظمى التي أكرمهم الله تعالى بها، حيث قال تعالى: ﴿وَأني فضلتكم على العالمين﴾<sup>١</sup>، لولا ما كانوا عليه من الحسد وحب الدنيا، الذي حال بينهم وبين ذلك.

الآية الثالثة، وهي قوله تعالى: ﴿فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فألله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾ النساء/١٤١.

وهذه الآية تتحدث عن المنافقين وما كانوا عليه من التعلق بالدنيا، والحرص عليها بأي سبيل، ويلاحظ أن التعبير بما منّ الله تعالى به على المؤمنين جاء بلفظ {فتح}، بينما جاء التعبير عما حصل للكافرين بلفظ {نصيب}، وفي ذلك إشارة إلى تعظيم شأن المسلمين، وتخصيس حظ الكافرين، ذكر هذا الزمخشري - رحمه الله تعالى - وقال: لأن ظفر المسلمين أمر عظيم فتفتح لهم أبواب السماء حتى ينزل على أوليائه، وأما ظفر الكافرين فما هو إلا حظ دنيء ولمظة من الدنيا يصيبونها<sup>٢</sup>، وقال ابن المنير رحمه الله تعالى: وهذا من محاسن نكت أسرار القرآن، فإن الذي كان يتفق للمسلمين فيه استئصال لشأفة الكفار، واستيلاء أرضهم وديارهم وأموالهم

<sup>١</sup> سورة البقرة، آية: ٤٧ و١٢٢ وأولها: {يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم}.  
<sup>٢</sup> انظر الكشاف ٥٧٣/١، ومعنى {ألم نستحوذ عليكم}: أي ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم؟ {ونمنعكم من المؤمنين} أي بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم.. فهاتوا نصيبا لنا مما أصبتم.

وأرض لم يطنوها، وأما ما كان يتفق للكفار فمثل الغلبة والقدرة التي لا يبلغ شأنها أن تسمى فتحاً، فالتفريق بينهما مطابق أيضاً للواقع والله أعلم<sup>١</sup>.

والفتح هنا يشمل المعنيين الحسي والمعنوي، ذلك لأن النصر على العدو والتمكن منه يتبعه الظفر بالغنيمة كما هو بين، وذلك بأخذ ما عند العدو من مال أو سلاح أو طعام، والاستيلاء على ما عنده من زروع أو مواش أو ضياع، والغنائم من الرزق الحلال الذي شرعه الله تعالى لهذه الأمة، قال تعالى: ﴿فكفوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم﴾<sup>٢</sup>، وهي من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم<sup>٣</sup>.

الآية الرابعة، وهي قوله تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ الأعراف/٩٦.

وهذه الآية تتكلم عن ثمرة من ثمرات الإيمان والتقوى، ألا وهي بركة الرزق الحلال المتدفق من السماء والأرض، فالفتح هنا بمعنى التوسعة عليهم بالخير،

<sup>١</sup> انظر الإنصاف بهامش الكشاف ٥٧٣/١.

<sup>٢</sup> سورة الأنفال، آية: ٦٩.

<sup>٣</sup> فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأیما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) متفق عليه، أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه انظر رقم ٣٣٥ كتاب التيمم ١٢٢/٢، ومسلم برقم ٥٢١ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٣/٥.

وخصائص نبينا صلى الله عليه وسلم ليست محصورة بهذه الخمس، فقد ورد في حديث آخر فضلت بست، ووردت أحاديث أخرى بخصائص أخرى، وقد أفردت بالتأليف، من ذلك: غاية السؤل في خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم، للإمام ابن الملقن، والخصائص الكبرى للإمام السيوطي، وانظر ما فصله الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٢٩/٢-١٣٤ فقد قال في نهاية البحث: قلت: فينتظم بهذا سبع عشرة خصلة، ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك لمن أمعن التتبع، وقد تقدم طريق الجمع بين هذه الروايات، وأنه لا تعارض فيها، وقد ذكر أبو سعيد النيسابوري في كتاب شرف المصطفى أن عدد الذي أختص به نبينا صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء ستون خصلة إله، وانظر ما ذكره السيوطي في شرح سنن النسائي ٢١٠/١.

وتيسيره لهم من كل جانب، والبركة هي الزيادة والنماء، وبركات السماء بالمطر، وبركات الأرض بالنبات والثمار والمواشي والأنعام، وحصول الأمن والسلامة، ذكر هذا الرازي رحمه الله تعالى وقال: وذلك لأن السماء تجري مجرى الأب، والأرض تجري مجرى الأم، ومنها يحصل جميع المنافع والخيرات بخلق الله تعالى وتقديره<sup>١</sup>، وقال ابن عطية: وفتح البركات إنزالها على الناس، ومنه قوله تعالى: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾، ومنه قالت الصوفية: الفتوح، والبركات: النمو والزيادات<sup>٢</sup>.

وفي الآية إشارة إلى أن الكفاية والسعة في الرزق من سعادة المرء إذا كان شاكرا، ووبالا إذا لم يشكر الله تعالى<sup>٣</sup>.

والفتح هنا كما هو ظاهر حسي، وذلك شامل لكل ما يحتاجه البشر في استقامة أمورهم وصحة أجسامهم من طعام وشراب وغيرهما، ويدخل فيه أيضا الفتح المعنوي، لأن الرزق ونحوه يكون فيهما معا، والبركة تكون في المعنوي أقرب منه إلى الحسي وأكثر كما هو ظاهر.

الآية الخامسة، وهي قوله تعالى: ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾ الخطاب في صدر هذه الآية الكريمة {فترى} للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، ووعدهم بالنصر والظفر والتمكين، وعسى من الله تعالى تفيد الوجوب، فهو وعد صادق لا يتخلف، وفيها رد على الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون الذين كانوا يشكون في أمر النبي صلى الله عليه

١ انظر التفسير الكبير ١٤/١٩٣.

٢ انظر المحرر الوجيز ١٦/١٧، و ١٢/٢١٥.

٣ انظر المقتطف من عيون التفاسير ٢/٢٥٠.

وسلم، ويقولون: لا نظن أنه يتم له أمره، ويرون أن الدولة والغلبة ستصير لأعدائه<sup>١</sup>، ففي الآية دفع لما وقع في قلوبهم من الخوف والهلع، مما جعلهم يسارعون في الموالاتة للكافرين.

وقد اختلف المفسرون رحمهم الله تعالى في المراد بالفتح هنا، فقال السدي: هو فتح مكة<sup>٢</sup>، وقال قتادة: هو القضاء<sup>٣</sup>.

وبعد أن نقل ابن عطية ما تقدم عن السدي وفتادة، وزاد في قول فتادة: (في هذه النوازل) قال: وظاهر الفتح في هذه الآية ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلو كلمته، أي فيبدو الاستغناء عن اليهود، ويرى المنافق أن الله لم يوجد سبيلا إلى ما كان يؤمل فيهم من المعونة على ما حصل فيه من محادة الشرع، وتجلل والدفع في صدر نبوته، فيندم حينئذ على ما حصل فيه من محادة الشرع، وتجلل ثوب المقت من الله تعالى ومن رسوله عليه الصلاة والسلام والمؤمنين، كالذي وقع وظهر بعد<sup>٤</sup>، وقال الشوكاني بعد ذكر مثل هذا: ومنه ما وقع من قتل مقاتلة بنبي قريظة وسبي ذراريهم، وإجلاء بني النضير، ثم قال: والمراد بالأمر من عنده كل ما تندفع به صولة اليهود ومن معهم وتنكسر شوكتهم<sup>٥</sup>.

الآية السادسة، وهي قوله تعالى: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ فاطر/٢.

١ انظر التفسير الكبير ١٩/١٢.  
 ٢ أخرجه ابن أبي حاتم بإسناد حسن برقم ٢٥٥ في تفسير سورة المائدة بتحقيقنا ص ١٥٤، وابن جرير برقم ١٢١٧٣ (٤٠٥/١٠)، وذكره ابن كثير ٦٨/٢، والشوكاني ولم ينسبه ٥٠/٢.  
 ٣ أخرجه ابن أبي حاتم بإسناد صحيح برقم ٢٥٦ في تفسير سورة المائدة بتحقيقنا ص ١٥٤، وابن جرير برقم ١٢١٧٢ (٤٠٥/١٠)، وذكره ابن كثير ولم ينسبه ٦٨/٢.  
 ٤ انظر المحرر الوجيز ٤٨١/٤.  
 ٥ انظر فتح القدير ٥٠/٢.

الفتح في هذه الآية الكريمة بمعنى الإعطاء وقد جاء مطلقاً، فتناول جميع وجوه الخير الحسية والمعنوية، فهو شامل لجميع النعم كما قال تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾<sup>١</sup>، إنه يعنى النعم الدينية من الإيمان والعلم والنبوة والتوفيق للحسنات، والنعم الدنيوية كالمطر والرزق والأمن والصحة والجاه والمال والولد<sup>٢</sup>، وما إلى ذلك من النعم التي لا تدخل تحت العد والحصر، وقد أجاد سيد قطب رحمه الله تعالى في توضيح ذلك في كلام طويل نقتطف منه هذه العبارات:

(ورحمة الله تتمثل في مظاهر لا يحصيها العد، ويعجز الإنسان عن مجرد ملاحظتها وتسجيلها في ذات نفسه وتكوينه، وتكريمه بما كرمه، وفيما سخر له من حوله ومن فوقه ومن تحته. وفيما أنعم به عليه مما يعلمه ومما لا يعلمه وهو كثير.

ورحمة الله تتمثل في الممنوع تمثلها في الممنوح. ويجدها من يفتحها الله له في كل شيء وفي كل وضع وفي كل حال وفي كل مكان، يجدها في نفسه وفي مشاعره، ويجدها فيما حوله. وحيثما كان. وكيفما كان. ولو فقد كل شيء مما يعد الناس فقده هو الحرمان، ويفتقدها من يمسكها الله عنه في كل شيء، وفي كل وضع وفي كل حالة وفي كل مكان. ولو وجد كل شيء مما يعده الناس علامة الوجدان والرضوان.

وما من نعمة يمسك الله معها رحمته حتى تنقلب هي بذاتها نعمة. وما من محنة تحفها رحمة الله حتى تكون هي بذاتها نعمة. ينام الإنسان على الشوك مع رحمة الله فإذا هو مهاد، وينام على الحرير وقد أمسكت عنه فإذا هو شوك قتاد، ويعالج أعسر الأمور برحمة الله، فإذا هي هوادة ويسر. ويعالج أيسر الأمور وقد تخلت عنه

<sup>١</sup> سورة النحل، آية: ٥٣.

<sup>٢</sup> انظر التفسير المظهري ٨: ٤٢.

رحمة الله، فإذا هي مشقة وعسر، ويخوض بها المخاوف والأخطار، فإذا هي أمن وسلام، ويعبر بدونها المناهج والمسالك فإذا هي مهلكة وبوار)<sup>١</sup>.

وقد كان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يقول إذا أصبح وقد مطر الناس: مطرنا بنوء الفتح ، ثم يتلو هذه الآية ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾<sup>٢</sup> ، وفي الدعاء: (اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد)<sup>٣</sup>.

ولذا فإنه ما على العبد إلا أن يصدق في طلب ذلك الفتح من ربه، وأن يعلق قلبه به ، غير ملتفت إلى سواه، فإنه سبحانه ﴿هو العزيز﴾ أي الغالب على ما يشاء، لا يقدر أحد أن ينازعه، {الحكيم} الذي لا يفعل إلا بعلم وإتقان<sup>٤</sup>، فهل يصح بعد هذا أن تكون وجهة إلى غيره، وطلب من سواه!؟

الآيات من السابعة إلى الثانية عشرة، وهي قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ ونظائرها.

<sup>١</sup> انظر في ظلال القرآن ٢٢/٢٢١-٢٩٢٢.

<sup>٢</sup> رواه الإمام مالك في الموطأ بلاغا برقم ٥٥٣ في كتاب الاستسقاء - باب الاستمطار بالنجوم ١/١٦٣، وأخرجه ابن أبي حاتم بإسناد منقطع عن يونس عن ابن وهب عنه برقم ١٧٩٢٦ (١٠/٣١٧١)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣/٨٧٠)، والسيوطي في الدر المنثور ٥/٤٥٩.

<sup>٣</sup> متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٨٤٤ كتاب الأذان باب: الذكر بعد الصلاة ٣/٣١٧، ومسلم برقم ٥٩٣ كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب: استحباب الذكر بعد الصلاة ٥/٧٤، وصدره: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد هو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ...)، قال النووي رحمه الله تعالى ٥/٧٧: (ذا الجد) المشهور الذي عليه الجمهور أنه بفتح الجيم، ومعناه: لا ينفع ذا الغنى والحظ منك غناه، وضبطه جماعة بكسر الجيم.

<sup>٤</sup> انظر تفسير المظهري ٨/٤٢.

هذه الآيات الكريمة كما هو ملاحظ تتحدث عن فتح مبين أي ظاهر واضح لا خفاء فيه، سواء كان فتح مكة المكرمة، أو مقدمته وهو صلح الحديبية أو غير ذلك من الفتوح التي فتح الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، وتوضيح ذلك:

أن الفتح المبين — في الآية السابعة في هذه المجموعة — الذي أكرم الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم، هو صلح الحديبية كما يرى أكثر المفسرين، والصلح قد يكون فتحاً وقال الفراء: الفتح قد يكون صلحاً، وإذا كان من معاني الفتح فتح المنغلق فإن الصلح الذي كان مع المشركين بالحديبية كان مسدوداً متعذراً حتى فتحه الله تعالى، قال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين، فسمعوا كلامهم، فتمكن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام<sup>١</sup>، والمتأمل في ما أسفر عنه ذلك الصلح من نتائج عظيمة، كلها كانت في صالح الإسلام والمسلمين يدرك سر تسميته بالفتح المبين.

وذهب آخرون إلى أن المراد به: فتح مكة، قال الرازي رحمه الله تعالى: وهو ظاهر، وعده أحد الوجوه المختارة<sup>٢</sup>.

وقيل: بل عنى به ما فتح على النبي صلى الله عليه وسلم من العلوم والهدايات التي هي ذريعة إلى الثواب، والمقامات المحمودة التي صارت سبباً لغفران ذنوبه<sup>٣</sup>.

١ انظر معاني القرآن ٦٤٤/٣.

٢ انظر فتح القدير ٤٤/٥، وذكر وجوهاً آخر ثم قال: والأول أرجح - أي صلح الحديبية -، ويؤيده ما ذكرناه قبل هذا من أن السورة أنزلت في شأن الحديبية.

٣ انظر التفسير الكبير ٧٧/٢٨.

٤ انظر مفردات القرآن ص ٦٢١، بصائر ذوي التمييز ١٦٤/٤، وروح المعاني ١٢٩/٢٦.



وسواء قلنا إن المراد به صلح الحديبية أم فتح مكة كما يرى بعض أهل العلم، أم فتح خيبر أم جميع ما فتح الله لرسوله صلى الله عليه وسلم من الفتوح، أم غير ذلك كما يرى آخرون، فلا خلاف في أن المراد إنما هو تكريم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحقيق نصر الله تعالى له وتأييده، فكل ما حصل له صلى الله عليه وسلم من الفتوح إنما هو من الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له.

### القسم الثاني :

الآية الأولى، وهي قوله تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾ الأنعام/ ٤٤ .

تتحدث الآية الأولى من القسم الثاني في هذه المجموعة من الآيات، عن لون من ألوان العذاب الذي أعده الله تعالى لعباده المعاندين، الذين تمردوا على طاعته وطاعة رسله عليهم الصلاة والسلام، ألا وهو عذاب الاستدراج<sup>١</sup>.

فالفتح هنا المعبر عنه بـ ﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾، يعني السعة والصحة و صنوف النعمة، وسائر الخيرات، والتقدير عند أهل العربية — كما يقول

<sup>١</sup> الاستدراج: هو الأخذ بالتدرج، منزلة بعد منزلة، والدرج لف الشيء، يقال: أدرجته ودرجته ومنه أدرج الميت في أكفانه، وفي التعريفات: هو أن تكون بعيدا من رحمة الله تعالى، وقريبا إلى العقاب تدريجيا، وأن يجعل الله تعالى العبد مقبول الحاجة وقتا فوقتا إلى أقصى عمره للابتدال بالبلاء والعذاب، وقال الضحاك: : في قوله تعالى: {سنستدرجهم من حيث لا يعلمون} الأعراف/١٨٢: كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة، وقال الرغب: معناه: نأخذهم درجة فدرجة، وذلك إتناؤهم من الشيء شيئا فشيئا كالمراقى والمنازل في ارتقانها ونزولها، وقيل لذي النون: ما أقصى ما يخدع به العبد؟ قال: بالألطاف والكرامات، لذلك قال تعالى: {سنستدرجهم من حيث لا يعلمون} نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر، وأنشدوا:

أحسنْتَ ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر  
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر  
انظر مفردات القرآن ص ٣١١، والتعريفات ص ٣٣، والجامع لأحكام القرآن ٣٢٩/٧.

القرطبي - فتحنا عليهم أبواب كل شيء كان مغلقا عنهم<sup>١</sup>، وهذه وإن كانت في ظاهرها نعمًا إلا أنها في الحقيقة نقم، لأنها إنما جاءت على منهاج الاستدراج، إلزامًا للحق، وإزاحة للعلة، وامتحانًا لهم بالشدة والرخاء<sup>٢</sup>.

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب، وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك له منه استدراج، ثم نزع هذه الآية: {فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون}. فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين<sup>٣</sup>).

والمراد بالنسيان هنا الترك، وليس النسيان المعروف أي تركوا ما ذكروا به، وذلك لأن التارك للشيء إعراضًا عنه قد صيره بمنزلة ما قد نسي، وقيل إنهم تعرضوا للنسيان فجاز الذم لذلك كما جاز الذم على التعرض لسخط الله عز وجل وعقابه<sup>٤</sup>.

وفي الآية وعيد شديد لمن يقيم على معاصي الله، ولا ينتبه للتوبة والاستغفار، مغترا بتوالي نعم الله تعالى عليه، فيكون حاله أشبه بحال المنافقين

<sup>١</sup> انظر الجامع لأحكام القرآن ٤٢٦/٦.

<sup>٢</sup> انظر المقتطف ١١٨/٢.

<sup>٣</sup> أخرجه الإمام أحمد من حديث عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه ١٤٥/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم بإسناد حسن برقم ٢٢٨ في تفسير سورة الأنعام بتحقيق زميلنا الدكتور عبد الرحمن محمد الحامد ص ٢٢٣، وأخرجه الطبراني في الكبير - واللفظ له - برقم ٩١٣ (٣٣٠٩/١٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠/٧، وقال المناوي في فيض القدير ٣٥٤/١: قال الهيثمي: رواه الطبراني عن شيوخه الوليد بن العباس المصري وهو ضعيف، وقال العراقي: إسناده حسن، وتبعه السيوطي فرمز لحسنه.

<sup>٤</sup> انظر الجامع لأحكام القرآن ٤٢٦/٦.

الذين كانوا يعصون النبي صلى الله عليه وسلم ويستهنئون به {ويقولون لولا يعذبنا الله بما نقول} فرد الله تعالى عليهم فقال: {حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير}¹.

الآية الثانية، وهي قوله تعالى: {لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين} الأعراف/٤٠.

هذه الآية في بيان عدم الفتح لهؤلاء الأشقياء، وذلك بأن لا تقبل أديعتهم ولا أعمالهم، ولا تعرج إلى السماء أرواحهم كما تعرج أرواح المؤمنين²، قال ابن عطية: ومعنى الآية: لا يرتفع لهم عمل ولا روح ولا دعاء، فهي عامة في نفي ما يوجب للمؤمنين من الله تعالى³ وقال الرازي - بعد أن نقل نحو هذا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما -: وهذا مأخوذ من قوله تعالى: {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه}⁴، ومن قوله: {كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين}⁵، ثم قال: وأقول :

هذه الآية تدل على أن الأرواح إنما تكون سعيدة إما بأن ينزل عليها من السماء أنواع الخيرات، وإما بأن يصعد أعمال تلك الأرواح إلى السموات، وذلك يدل على أن السموات موضع بهجة الأرواح، وأماكن سعادتها، ومنها تنزل الخيرات والبركات، وإليها تصعد الأرواح حال فوزها بكمال السعادات، ولما كان الأمر كذلك كان قوله: {لا تفتح لهم أبواب السماء} من أعظم أنواع الوعيد والتهديد¹.

1 سورة المجادلة، آية: ٨.

2 انظر المقتطف ٢/٢١٨.

3 انظر المحرر الوجيز ٥/٥٠٢، وقد ذكر في هذا عدة آثار وقال: هي لينة الأسانيد.

4 سورة فاطر، آية: ١٠.

5 سورة المطففين، آية: ١٨.

6 انظر التفسير الكبير ١٤/٨١.

فنفى الفتح لهؤلاء الأشقياء، يعني الفتح لمن يقابلهم من السعداء، ففي الآية وعيد وتهديد لمن أعرض عن الله - كما يقول الرازي - ووعد وبشارة لمن أطاع الله واتبع هدايه، بأن الله تعالى يتقبل منهم أعمالهم، ويستجيب لأدعيتهم، وتخرج إلى السماء على سبيل التكريم أرواحهم.

الآيات من الثالثة إلى السادسة، وهي قوله تعالى: {ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين} الأعراف/٨٩، ونظائرها.

معنى الفتح في هذه الآيات الأربع هو الحكم والقضاء، فالثالثة والسادسة - في هذه المجموعة - دعاء من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأن يحكم الله تعالى بينهم وبين قومهم بحكمه العادل، فإنه سبحانه وتعالى خير الحاكمين، وقد أجابهم الله تعالى فحكم بينهم بالحق فأيدهم بنصره المؤزر، وأهلك عدوهم ونجاهم من القوم الظالمين<sup>١</sup>.

والرابعة: مخاطبة لمشركي<sup>٢</sup> قريش تهكما بهم، والمعنى: إن تطلبوا النصر على محمد صلى الله عليه وسلم فقد جاءكم النصر، وذلك أنهم كانوا عند خروجهم من مكة لنصرة العير، سألوا الله تعالى أن ينصر أحق الطائفتين بالنصر فقاتوا: اللهم انصر أحب الفئتين إليك، وأظهر خير الدينين عندك، اللهم أقطعنا للرحم فأحنه<sup>٣</sup> الغداة، ونحو هذا، فتهكم الله تعالى بهم، وأجاب دعاءهم فنصر أهدى الفئتين وأكرم

<sup>١</sup> وقد وردت الآية الثالثة في قصة شعيب عليه السلام مع قومه، والسادسة في قصة نوح عليه السلام مع قومه، ومعلوم ما قد حكم الله تعالى به في ذلك.

<sup>٢</sup> هذا على رأي أكثر المفسرين، ويرى آخرون أن الخطاب في مفتتح الآية للمؤمنين، وسائر ما مخاطبة للمشركين، انظر في تفسير هذه الآية المحرر الوجيز ٦/٢٥٣-٢٥٤، وفتح القدير ٢/٢٩٧.

<sup>٣</sup> أحنه: بكسر الحاء وسكون النون - من الحين، وهو الهلاك والمحنة، يقال حان الرجل وأحانه الله، وكل ما لم يوفق للرشاد فقد حان. انظر القاموس المحيط ٤/٣١٠ مادة: حين.

الحزبين وهم نبيه صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله تعالى عنهم وسمى ما حل بهم من الهلاك نصرا، كما هو واضح في وقائع غزوة بدر الكبرى.

والخامسة: قد جاء الفتح فيها بمعنى الدعاء أيضا، وجائز أن تكون من استفتاح الرسل عليهم السلام على قومهم، وأن تكون من استفتاح الأمم على أنفسها، وقد وردت آثار في الأمرين، ذكر هذا ابن كثير رحمه الله تعالى وقال: ويحتمل أن يكون هذا مرادا وهذا مرادا - والله أعلم<sup>١</sup>.

وفي قوله تعالى {وخاب كل جبار عنيد} دلالة على شقاء أولئك القوم المعاندين، ولحوق العذاب بهم، سواء كان طلب الفتح من أنبيائهم عليهم السلام، أم منهم على أنفسهم؛ فإن الله تعالى قد أجاب الدعاء، فنصر أنبياءه، وخذل وأذل أعداءه، فالحمد لله رب العالمين.

وقد تقدم أن من معاني "فتح" حكم وقضى<sup>٢</sup>.

وفي هذه الآيات تحذير للعبد من أن يدعو بدعاء قد يضر به نفسه، فإن الله تعالى حكم عدل لا يظلم عنده أحد سبحانه وتعالى، وقد كان من حماقة المشركين أن قالوا ما حكاه الله تعالى عنهم: {وإن قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم}!!<sup>٣</sup>، فلولا ما ذكره الله تعالى بعد هذه الآية من قوله: {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}، لأصابهم ما دعوا به على أنفسهم من مطر الحجارة والعذاب الأليم، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو المسلم على نفسه أو ولده أو ماله،

<sup>١</sup> مانظر تفسير ابن كثير ٨١٤/٢.

<sup>٢</sup> انظر المعنى اللغوي لكلمة "فتح" ص ٣ في هذا البحث.

<sup>٣</sup> سورة الأنفال، آية: ٣٢، والذي دعا بهذا الدعاء هو النضر بن الحارث، وقد قتل صبيرا يوم بدر.

فقال صلى الله عليه وسلم: ( لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم)<sup>١</sup>.

الآية السابعة ، وهي قوله تعالى:﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾  
القمر/١١.

والفتح في هذه الآية الكريمة من هذه المجموعة، يعني شدة هطول المطر من الجوّ بهيئة خروج الجماعات من أبواب الدار، والمنهمر المنصب أي المصبوب يقال: (همر) الماء إذا صبّه، أي نازل بقوة، وذلك بحلول النقمة بمكذبي الرسل عليهم السلام ومعانديهم، وهي في قصة نوح عليه السلام مع قومه، الذين مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وسلك معهم كل وسائل الدعوة كما وضحتها السورة التي سميت باسمه عليه السلام، ومع هذا فقد تمادوا في غيهم وعنادهم، فما آمن معه منهم إلا قليل.

فكان الفتح الإلهي عليهم بأن أرسل عليهم ذلك الطوفان المدمر، حيث التقت المياه الكثيرة التي انصببت من أبواب السماء الواسعة، مع مياه الأرض التي تفجرت عيوناً فائضة، فأغرقوا جميعاً ولم ينج إلا أصحاب السفينة وهم نوح عليه السلام ومن آمن معه.

<sup>١</sup> أخرجه مسلم في أثناء حديث جابر الطويل برقم ٣٠٠٩ في كتاب الزهد والرقائق، وأبو داود برقم ١٥٢٧ في الصلاة، قال ابن كثير ٦٣٤/٢ في تفسير قوله تعالى: {ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم} يونس/١١: يخبر تعالى عن حلمه ولطفه بعباده أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم بالشر في حال ضجرهم وغضبهم، وأنه يعلم منهم عدم القصد إلى إرادة ذلك، فلماذا لا يستجيب لهم والحالة هذه، لطفاً ورحمة كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم أو لأولادهم بالخير والبركة والنماء.

<sup>٢</sup> انظر التحرير والتنوير ١٨٢/٢٧ بتصرف، وفيه: عمر بدل همر، وهو خطأ طباعي صوابه ما أثبت، يقال: همره يهمره - بكسر الميم وضمها - فهمر هو وانهمر فهو منهمر: أي انصب وانسكب بقوة. انظر القاموس المحيط ٢/٢٢٨، والمعجم الوسيط ٢/٩٩٣ مادة: همر.

وهكذا نرى أن هذه المجموعة من الآيات الكريمة بقسميها الأول والثاني، قد تناولت ما فتح الله تعالى به على عباده، سواء كان فتح نعم مباركة كما هو لأهل الإيمان، أم فتح نعم جاءت على طريق الاستدراج كما هو لأهل البغي والعدوان، أم كانت نقما متنوعة عاجلة أو آجلة كما هو لأهل الكفر والطغيان قال تعالى: {فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}¹.

### الدروس والعبر في هذه المجموعة من الآيات :

- ١- إن الفتح الإلهي لا يعني أن يكون دائما بالمنافع الحسية، بل قد يكون بالمنافع المعنوية، ومن ذلك الفتح بالعلم النافع، سواء كان بطريق الكتب المنزلة، أم بطريق الفيض الإلهي، وذلك معدود من أجل النعم المستوجبة للشكر.
- ٢- من أسمى معاني شكر النعمة، التحقق بأمرين، أولهما: نسبة النعمة إلى المنعم جل جلاله، وثانيهما: الاجتهاد في استعمالها في طاعته.
- ٣- وكفر النعم يكون بواحد من ثلاثة، أولها: نسيان المنعم جل جلاله، وثانيها: نسبة النعمة إلى غير مسديها جل وعلا، وثالثها: استعمالها في معصيته.
- ٤- عدم العمل بالعلم سبب مهم في محق بركته، وانقلابه وبالا على صاحبه، فإن بني إسرائيل هبطوا من الأفضلية على العالمين إلى غضب الله تعالى ومقتله بسبب ذلك.

¹ سورة العنكبوت، آية: ٤٠.

٥- الإيمان والتقوى عنصران مهمان من عناصر فتح أبواب الرزق ووفرتة وبركته، سواء في ذلك الحسي منه والمعنوي.

٦- من الفتح الذي يثلج صدور المؤمنين انتصارهم على أعدائهم، لما في ذلك من تحقيق رضا محبوبهم، والعمل بطاعته، وتحقيق عبادته على أرضه وتحت سمائه.

٧- إن من أعظم الفتوح بركة ما فتح الله تعالى به على نبيه محمد الخاتم صلى الله عليه وسلم، من العلم والفهم والنصر والتمكين، ونحو ذلك من الفتوح التي سرت بركتها إلى أمته عبر القرون، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وكان فضل الله عليك عظيماً﴾<sup>١</sup>.

## آيات المجموعة الثانية

### وهداياتها

الآية الأولى ، وهي قوله تعالى: ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾ الأنبياء/٩٦.

تتحدث هذه الآية الكريمة عن يأجوج ومأجوج، تلك القبائل المفسدة والموجات البشرية، التي تتدفق من كل مكان مرتفع من الأرض، تسرع في النزول، وتكتسح كل شيء أمامها. فلا يمرون بماء إلا شربوه. ولا بشيء إلا أفسدوه<sup>٢</sup>، وذلك لدى

<sup>١</sup> سورة النساء، آية: ١١٣ وهي بتمامها: {ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً}.

<sup>٢</sup> أخرجه الحاكم مطولاً في كتاب التفسير - تفسير سورة الأنبياء ٢/٣٨٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.



اقتراب الساعة ونهاية الحياة<sup>١</sup>، يومئذ يبعث الناس من قبورهم فتتكشف الحقائق، فإذا الذين كفروا من هول الموقف شاخصون بأبصارهم، ينادون بالويل والثبور، معترفين بظلمهم إذ وضعوا العبادة في غير موضعها<sup>٢</sup>.

وفتح يأجوج ومأجوج هو أحد العلامات الكبرى للساعة، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله تعالى عنه قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: (إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر: الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم)<sup>٣</sup>.

وفي ذلك تنبيه للعباد للاستعداد ليوم المعاد، وأخطر هذه العلامات طلوع الشمس من مغربها، حيث لا يقبل الإيمان من أحد بعد ذلك، قال تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض

<sup>١</sup> إنما قلنا لدى اقتراب الساعة، لأن خروج يأجوج ومأجوج لا يعني فناء العالم، بل إن الإيمان ليبقى في الناس بعد خروجهم، فقد أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه برقم ١٥٩٣ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج) في كتاب الحج باب قول الله تعالى: {جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس} ١٢٧/٥. أخرجه الإمام أحمد برقم ١٠٨٣٣ في مسند أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، وقال ابن كثير ٣١٥/٣: انفرد به البخاري - أي دون مسلم -.

<sup>٢</sup> انظر تفسيرنا لسورة الأنبياء تفسيرا موضوعيا ص ٥٣، وللعلماء كلام طويل عن يأجوج ومأجوج، لا يناسب ذكره في هذا المقام، انظر بسط ذلك ومناقشته في التحرير والتنوير ١٤٨/١٧-١٥١، ومباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم ص ٣١٥-٣٢١ فقد رجح أن الذين يخرجون قبيل الساعة هم من نسل يأجوج ومأجوج الذي حجزوا خلف سد ذي القرنين، وانظر نحو تفسير موضوعي ص ٢٥٧.

<sup>٣</sup> أخرجه مسلم برقم ٢٩٠١ في كتاب الفتن باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة ٢٣/١٨.

آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل  
انتظروا إنا منتظرون»، فسر قوله تعالى: ﴿ أو يأتي بعض آيات ربك ﴾ بطلوع  
الشمس من مغربها<sup>١</sup>.

الآية الثانية والرابعة، وهما قوله تعالى: ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب  
شديد إذا هم فيه مبلسون﴾ المؤمنون/٧٧.  
﴿وفتحت السماء فكانت أبواباً﴾ النبا/١٩.

وأما الآية الثانية في هذه المجموعة فالفتح فيها يعني حلول عذاب الاستئصال  
الذي كان يأخذ الله تعالى به الأمم المعاندة قبل أن يعصم منه هذه الأمة كرامة لنبيها  
صلى الله عليه وسلم، ومما يدل على أن هذا عذاب الاستئصال، أن الله تعالى ذكر  
قبله عذاب التأديب والتنبيه الذي قد ينتفع به بعض الناس قال تعالى في الآية التي  
قبل هذه: ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾، أي ابتليناهم  
بالمصائب والشدائد، فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة، بل استمروا  
على غيرهم وضلالهم، ما خشعوا ولا دعوا ربهم، ذكر هذا ابن كثير ثم قال في  
تفسير هذه الآية: أي حتى إذا جاءهم أمر الله، وجاءتهم الساعة بغتة، فأخذهم من  
عذاب الله ما لم يكونوا يحتسبون، فعند ذلك ألبسوا من كل خير، وأيسوا من كل  
رحمة، وانقطعت آمالهم ورجاؤهم<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> سورة الأنعام، آية: ١٥٨، وانظر تحقيقنا لرسالة ملا علي القاري رحمه الله تعالى في شرحه لهذه  
الآية "البيانات في بيان بعض الآيات" المنشور في مجلة الأحمدية عدد ١٥ سنة ٢٠٠٣م، وهو عدد

<sup>٢</sup> قرآني خاص بمناسبة شهر رمضان المبارك سنة ١٤٢٤هـ.  
انظر تفسير ابن كثير ٣/٤٠٣-٤٠٤.

فالموفق من عباد الله من يستفيد مما يلزم به من مصائب وشدائد، وينتبه لنفسه، فيقلع عن المعصية، ويزداد من الطاعة، ولا ينتظر حتى يفجأه العذاب الذي لا ينفع معه توبة ولا استدراك.

ذكر ابن كثير في تفسيره عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى أنه حبس فقال له رجل من الأبناء: ألا أتشدك بيتا من شعر يا أبا عبد الله؟ فقال وهب: نحن في طرف من عذاب الله، والله يقول: {ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون}، قال: وصام وهب ثلاثا متواصلة، فقل له : ما هذا الصوم يا أبا عبد الله؟ قال: أحدث لنا فأحدثنا، يعني أحدث لنا الحبس فأحدثنا زيادة عبادة<sup>١</sup>.

وأما الآية الرابعة: فهي أيضا عند الساعة، حيث تنشق السماء وتنفرج لنزول الملائكة منها، فالفتح هنا التصدع والانفراج، وبهذا يحصل اضطراب في نظام الكواكب، فيذهب التماسك بينها، ولا يبقى ما يسمى سماء إلا مسالك وأبواب لا يلتقي فيها شيء، وذلك خراب العالم العلوي كما يخرب الكون السفلي<sup>٢</sup>.

وعند هذا الفتح لا يكون ناجيا من تلك الأهوال والويلات إلا من آمن وعمل صالحا، فلقي الله تعالى بقلب مشرق بالإيمان، ممتلئ بالمحبة واليقين، قال تعالى: {يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم}<sup>٣</sup>.

الآية الثالثة، وهي قوله تعالى: {ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين. قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون} السجدة/٢٩ و٣٠.

1 السابق.

2 انظر فاتحة القرآن وجزء عم الخاتم للقرآن - تفسير وبيان ص ٧٢.

3 سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨ و٨٩، وانظر في وصف هذا القلب كتابنا: أبرز أسس التعامل مع القرآن الكريم ص ١٢٠.

الفتح الذي يسأل عنه الكفرة في هذه الآية الكريمة، قد بينه ربنا تبارك وتعالى في الآية التي بعدها، وهو يوم القيامة في قول مجاهد<sup>١</sup>، حيث لا ينفعهم الإيمان في ذلك الوقت ولا طلب الإمهال في إدراك العذاب، وبعد أن ذكر النسفي رحمه الله تعالى أن المراد بالفتح هو يوم القيامة، وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم، ذكر أوجهاً آخر ثم قال: وهذا الكلام لم ينطبق جواباً على سؤالهم ظاهراً، ولكن لما كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالاً منهم على وجه التكذيب والاستهزاء أجبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقبل لهم: لا تستعجلوا به ولا تستهزنوا، فكأنني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وأمنتم فلا ينفعكم الإيمان، أو استنظرتم في إدراك العذاب فلم تنظروا<sup>٢</sup>، وقال الآلوسي رحمه الله تعالى: وتفسير الفتح بيوم القيامة ظاهر على القول بأن المراد بالفتح الفصل للخصومة فقد قال سبحانه: {إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة}<sup>٣</sup>.

وفي الآية تنبيه لمن أراد النجاة لنفسه بالإجابة قبل أن يجيء ذلك الفتح، فإنه فتح لا ينفع بعده إيمان من لم يؤمن قبل ذلك اليوم الذي يجيء فيه<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> أخرجه ابن جرير من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عنه برقم ٢١٥٧٣ (١٤٠/١١)، وابن أبي حاتم معلقاً برقم ١٧٨٦٧ (٣١١١/٩).

<sup>٢</sup> انظر مدارك التنزيل ٢٩١/٣، ومن الوجوه التي ذكرها: أنه يوم بدر أو يوم فتح مكة، وهذا فيه إشكال ويحتاج إلى تأويل - كان يقال: يريد المقتولين منهم فإنهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل - لأن منهم من آمن بعد بدر وفتح مكة ونفعه إيمانه كما هو معلوم.

<sup>٣</sup> سورة المسجدة، آية: ٢٥، وتامها: {فيما كانوا فيه يختلفون}، وانظر روح المعاني ٢١٣/٢١، وقال: وأيضا كون يوم الفتح يوم بدر بعيد عن كون السورة مكية، وكذا كونه يوم فتح مكة، ويبعد هذا قلة المقتولين في ذلك اليوم جدا، تدبر.

<sup>٤</sup> ومن فسر الفتح بيوم بدر، أوله على الذين ماتوا على كفرهم، فقد أخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: يوم بدر فتح للنبي صلى الله عليه وسلم، فلم ينفع الذين كفروا إيمانهم بعد الموت، وانظر الدر المنثور ٣٤٤/٥، وفتح القدير ٢٥٨/٤.

وهذه الآيات الأربع كما اتضح من بيانها، ترشد إلى المبادرة بالتوبة، والحذر من التمادي في الغي والإمعان في الضلال، قبل فوات الأوان، فـ {إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون}¹.

### الدروس والعبر في هذه المجموعة من الآيات:

- ١- إن المرء لم يزل في فسحة من أمره، ما لم يشرف على الموت ويبلغ حد الغرغرة، أو تطلع الشمس من مغربها²، أما إذا كان ذلك فقد أغلق باب التوبة، قال تعالى: {يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً}³.
- ٢- العلامات الكبرى للساعة عشرة، لما يقع شيء منها بعد، ولم يعرف على وجه اليقين أيها أول، ومن أبرزها: طلوع الشمس من مغربها، وخروج يأجوج ومأجوج.
- ٣- من سعادة العبد تضرعه عند حلول المصائب، واستكانته لربه لدى نزول الشدائد، فإن الله تعالى عفو رحيم، جواد كريم سبحانه وتعالى.

١ سورة نوح عليه السلام، آية: ٤.

٢ ثبت هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال عليه الصلاة والسلام: (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه) أخرجه مسلم برقم ٢٧٠٣ كتاب الذكر والدعاء باب: استحباب الذكر والاستغفار، وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر) أخرجه الإمام أحمد برقم ٦٣٧٢ في مسند سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، والترمذي برقم ٣٥٣٧ كتاب الدعوات باب: فضل التوبة والاستغفار، وقال: حديث حسن، وابن ماجه برقم ٤٢٥٣ في كتاب الزهد باب: ذكر التوبة.

٣ سورة الأنعام، آية: ١٥٨.

٤ - من لطف الله تعالى بعبده تنبيهه على ظلمه وتقصيره، بما يصيبه من محن ونكبات، لعله يقلع عن ذنبه ويتوب إلى ربه، كما قال تعالى: {ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون}¹.

٥ - السماء والأرض إنما خلقهما الله تعالى من أجل الإنسان، فإذا أرفق الأمر وذهب الإنسان، فلا أرض حينئذ ولا سماء، قال تعالى: {يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار}².

### آيات المجموعة الثالثة وهداياتها

الآية الأولى، وهي قوله تعالى: ﴿قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم﴾ سبأ/ ٢٦.

فيها يأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقول لمن لم يؤمن برسالته، بأن الله تعالى سيجمع بينه وبينهم يوم القيامة أي بين أهل الحق وأهل الباطل، ثم يحكم بينهم بحكمه الفاصل العادل، الذي لا يظلم معه أحدا، ولا يجور فيه على أحد، ويقضي بقضائه الحق فيثيب المهتدي ويعاقب الضال، وهو سبحانه وتعالى القاضي العليم بشؤون خلقه، لا يخفى عليه شيء من أحوالهم، فيحكم عن علم ومعرفة، فيجزئ كل عامل بعمله، دون ظلم أو تحيز سبحانه وتعالى، وهذا من أسرار إتباع

١ سورة السجدة، آية: ٢١.

٢ سورة إبراهيم عليه السلام، آية ٤٨٠.

الفتح بالعلم، أي لا تحفّ بحكمه أسباب الخطأ والجور الناشئة عن الجهل والعجز، واتباع الضعف النفساني الناشئ عن الجهل بالأحوال والعواقب<sup>١</sup>.

وهذه الآية كآيتي الدعاء التي تقدمت في المجموعة الأولى، وهما قوله تعالى: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾، وقوله: ﴿افتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين﴾، إلا أننا أدرجناها في هذه المجموعة لأنها تتعلق بالآخرة، فالجمع المشار إليه هنا هو جمعهم يوم القيامة الذي كان ينكره المشركون.

وفي الآية تهديد ووعيد لأولئك المعاندين إن بقوا على حالهم من الكفر والعناد، فإن ما أنكروه من الجمع يوم القيامة والفصل بين الخلاق واقع لا محالة.

وفي الآية إشارة إلى فضيلة العدل، وأنه خلق من أخلاق الله سبحانه وتعالى، فمن تخلق به من عباده على الوجه الذي يرضيه، فاز بسعادة الدارين.

الآية الثانية، وهي قوله تعالى: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ الزمر/٧١.

فقد جاء الفتح فيها على ظاهره، وهو فتح المنغلق، والمراد هنا فتح أبواب جهنم عند قدوم أهلها دون استئذان أو تأخير، زيادة في تبييتهم واستعجال العذاب لهم، قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

<sup>١</sup> انظر الجامع لأحكام القرآن ٣٠٠/١٤، والتحرير التنوير ١٩٥/٢٢، وقبس من نور القرآن ٢٣٧/١٠.

فالتقدير: فلما جاءوها فتحت أبوابها، أي وكانت مغلقة لتفتح في وجوههم حين مجيئهم تهويلا ورعبا، وقرأ الجمهور: فَتَحَتْ بتشديد التاء للمبالغة في الفتح<sup>١</sup>.

الآية الثالثة والرابعة، وهما قوله تعالى: ﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب﴾ ص/٥٠<sup>٢</sup>.

﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ الزمر/٧٣

والفتح في هاتين الآيتين كالفتح في التي قبلها، أي فتح المنغلق، والمراد هنا فتح أبواب الجنة، ويلاحظ هنا دخول الواو على فتحت بخلاف التي قبلها.

فالتقدير - كما يقول ابن عاشور أيضا - : حتى زمن مجيئهم إلى أبواب الجنة، أي خلَّتْهم الملائكة الموكلون بإحفاقهم عند أبواب الجنة، كحالة من يُهدى العروس إلى بيتها، فإذا أبلغها بابه خلى بينها وبين بيتها، كأنهم يقولون: هذا منزلكم فدوكموه، فتلقتهم خزنة الجنة بسلام، فالواو هنا واو الحال، واعترض على من يقول إنها واو تدخل على ما هو ثامن، إما لأن فيه مادة ثمانية كقوله تعالى: ﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾<sup>٣</sup>، وإما لأنه ثامن في التعداد كقوله تعالى: ﴿التائبون العابدون﴾ إلى قوله: ﴿والناهون عن المنكر﴾<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> انظر التحرير والتنوير ٦٩/٢٤، والقراءة التي مشينا عليها هي قراءة حفص، انظر تقريب النشر في القراءات العشر ص ٤٣٩.

<sup>٢</sup> أقول ما قلته سابقا من أن: سورة ص مقدمة في ترتيب المصحف على سورة الزمر، غير أنني أخرجتها هنا لأجمع الحديث عن الجنة وأختم به، جعلنا الله تعالى من أهلها بفضله وكرمه آمين.

<sup>٣</sup> سورة الكهف، آية: ٢٢.

<sup>٤</sup> سورة التوبة، آية: ١١٢.



قال: ووقوع هذه الواوات مصادفة غريبة، وتنبه أولئك إلى تلك المصادفة تنبيه لطيف ولكنه لا طائل تحته في معاني القرآن بله بلاغته<sup>١</sup>.

وقد جاءت آية ص في وصف ما أعد الله تعالى للمتقين من النعيم، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب. جنات عدن مفتحة لهم الأبواب. متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب. وعندهم قاصرات الطرف أتراب. هذا ما توعدون ليوم الحساب. إن هذا لرزقنا ما له من نفاذ﴾<sup>٢</sup>.

وفي الآية الكريمة والتي قبلها من سورة الزمر تنبيه إلى المصير المحتوم الذي لا ينفك عنه إنس ولا جان ، فإما أن يساق إلى الجنة وإما أن يساق إلى نار، ولكن شتان بين السوقين، فأين سوق أولئك من سوق هؤلاء، وقد وضح الأمر الزمخشري على طريقته في الفنقلة<sup>٣</sup> فقال:

فإن قلت: كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق؟ قلت: المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل، والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم، لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين، وحثها إسراعا بهم إلى دار الكرامة والرضوان، كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك، فشتان بين السوقين<sup>٤</sup>، أقول: وهذا تمثيل لطيف من الإمام الزمخشري رحمه الله تعالى، وإلا فشتان ما بين هذا المثال وحقيقة الحال في المآل.

<sup>١</sup> التحرير والتنوير ٧٢/٢٤.

<sup>٢</sup> سورة ص، الآيات: ٤٩-٥٤.

<sup>٣</sup> المراد بالفنقلة: الطريقة التي مشى عليها الزمخشري رحمه الله تعالى في تفسيره الكشاف عن حقائق التأويل، وهي: فإن قلت .. قلت.

<sup>٤</sup> انظر الكشاف ٤١١/٣.

## الدروس والعبر في هذه المجموعة من الآيات:

١- إن الله تعالى حكم عدل، لا يظلم أحداً، ولا يظلم عنده أحد، وفي هذا وعد لمن عدل واستقام بالجنة وحسن المقام، ووعد لمن جار وظلم بجهنم وبئس المهاد.

٢- من الأدلة العقلية على وجود اليوم الآخر وقوع الظلم في الدنيا، بل عد ذلك من أقوى الأدلة العقلية حتى قال "كانت" الفيلسوف الألماني: (إن مسرحية الحياة الدنيا لم تكتمل بعد، ولا بد من مشهد ثان، لأننا نرى هنا ظالماً ومظلوماً ولم نجد الإنصاف، وغالباً ومغلوباً ولم نجد الانتقام، فلا بد إذن من عالم آخر يستم فيه العدل). وقد علق الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى على هذه العبارة فقال: هذا اعتراف ضمني باليوم الآخر - القيامة - من هذا الإجنبي!!

٣- الثنانية في خلق الله تعالى موجودة في كل مخلوق. قال تعالى: {ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون}١. وواقع الناس صنفان. قال تعالى: {هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير}٢، والحياة داران، قال تعالى: {لعلكم تتفكرون. في الدنيا والآخرة}٣، والمصير إلى إحدى الدارين الجنة أو النار محتوم. قال تعالى: {فريق في الجنة وفريق في السعير}٤، ومن شأن التفكير في ذلك الاستعداد ليوم المعاد. للفوز بالنعيم والنجاة من الشقاء، ومن حكم الشعر:

الموت باب وكل الناس داخله يا ليت شعري بعد الباب ما الدار؟

١ انظر كتاب: لا تحزن ص ١٥٥.

٢ سورة الذاريات، آية: ٤٩.

٣ سورة التغابن، آية: ٢.

٤ سورة البقرة، الأيتان:

٥ سورة الشورى، آية: ٧.

الدار جنة خلد إن عملت بما يرضي الإله وإن قصرت فالنار<sup>١</sup>  
هما محلان ما للمرء غيرهما فاختر لنفسك أي الدار تختار<sup>٢</sup>

٤- الموت ضربة لازب على كل مخلوق، ولا مفر لمخلوق عن خالقه، قال تعالى بشأن فرعون وقومه: ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون. فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾<sup>٣</sup>، وقال تعالى: ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾<sup>٤</sup>، فليتأمل العاقل كيف سيقف بين يدي مولاه!!

٥- مما قضى الله تعالى أن يملأ الجنة والنار، قال تعالى: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾<sup>٥</sup>، وفي الحديث القدسي أن الله تعالى قال عن الجنة والنار: (ولكل واحدة منهما ملؤها)<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> هذان البيتان لأبي العتاهية. انظر ديوانه ص ١٦٨ .  
<sup>٢</sup> وهذا البيت مذكور في ديوان صالح عبد القدوس، قال الأستاذ جعفر خريباتي في كتابه: أبو العتاهية حياته وشعره ص ٧٥-٧٦: (وقيل اجتمع الخلفاء الراشدون - رضي الله تعالى عنهم - فقال أبو بكر من نوع الإجازة: الموت باب (البيت الأول)، فأجازه عمر بن الخطاب بقوله: الدار جنة خلد (البيت الثاني)، فأجازه عثمان: هما محلان (البيت الثالث)، فأجازه علي بن أبي طالب: ما للعباد سوى الفردوس منزلة (إن هفوا هفوة فالرب غفار) ولم ينسبها إلى مرجع.  
<sup>٣</sup> سورة القصص، الآيات: ٣٩ و ٤٠ .  
<sup>٤</sup> سورة العلق، آية: ٨ .  
<sup>٥</sup> سورة السجدة، آية: ١٣ .  
<sup>٦</sup> متفق عليه، أخرجه البخاري - واللفظ له - برقم ٤٨٥٠ في كتاب التفسير باب: قوله {وتقول هل من مزيد}، ومسلم برقم ٢٨٤٦ باب: النار يدخلها الجبارون، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبدي، وقال للنار: إنما أنت عذاب أعذب بك من أشياء من عبدي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط فهناك تمتلئ، ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا.

٦- كما أن في الجنة من النعيم ما لا يخطر على بال، كذلك في النار من العذاب ما لا يخطر على بال، ففي الحديث القدسي عن نعيم أهل الجنة يقول النبي صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فاقربوا إن شئتم) (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) <sup>١</sup>، وقال تعالى عن عذاب أهل النار: (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد. ولا يوثق وثاقه أحد) <sup>٢</sup>، ومن شأن تأمل العاقل في هذا أن يبذل جهده للوصول إلى الجنة والنجاة من النار.

٧- من بالغ حكمة الله تعالى وتام عدله، أن جعل الجزاء من جنس العمل، فلما جاهد أهل التقوى أنفسهم، وفطموها عن أسباب غضب الله تعالى، من عليهم هناك بالكرامة وإعطاء نفوسهم مشتهاها،

فقليل لهم على سبيل التكريم:

﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون. يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون. وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون. لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون﴾ <sup>٣</sup>، ولما كان أهل البغي والطغيان على خلاف ذلك، كان جزاؤهم الإهانة والحرمان، {جزاء وفاقاً} <sup>٤</sup>،

<sup>١</sup> متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٣٢٤٤ كتاب بدء الخلق باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ٥٧/٨، ومسلم برقم ٢٨٢٤ في كتاب الجنة وصفة نعيمها ١٤٧/١٧ والآية المذكورة في الحديث الشريف رقم ١٧ من سورة السجدة، وتامها: {جزاء بما كانوا يعملون}، جعلنا الله من أهلها آمين.

<sup>٢</sup> سورة الفجر، الأيتان: ٢٥ و٢٦.

<sup>٣</sup> سورة الزخرف، الآيات: ٧٠-٧٣.

<sup>٤</sup> سورة النبأ، الآية: ٢٦.

وقيل لهم على سبيل التبكيت والإهانة:

«ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين»<sup>١</sup>، قال تعالى عن حال الفريقين ومآل كل منهما: «فأما من طغى. وآثر الحياة الدنيا. فإن الجحيم هي المأوى. وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. فإن الجنة هي المأوى»<sup>٢</sup>.

<sup>1</sup> سورة الزمر، آية: ٧٢.

<sup>2</sup> سورة النازعات، الآيات: ٣٧-٤١.

## الخاتمة

نسأل الله تعالى حسنها

بعد هذا التطواف والتتبع لما ورد من كلمة {فتح} ومشتقاتها في الكتاب الكريم، وبعد أن وقفنا على بيان المراد بذلك ومراميه في ضوء ما ذكره جهابذة المفسرين، نجمل أهم النتائج التي أسفر عنها هذا البحث، وذلك بشكل نقاط محددة على النحو الآتي:

١ - كلمة {فتح} ومشتقاتها نلفظ دائر في الكتاب العزيز، وقد جاءت بمعان متعددة، شاملة لجوانب متنوعة، فالفتح كما يكون في الأمور الحسية يكون في الأمور المعنوية، وكما يكون في الخير يكون في الشر، ومثلما يكون في الدنيا يكون في الآخرة.

٢ - مع كون كلمة الفتح دائرة في الكتاب العزيز، وأنها جاءت لمعان متنوعة، تبين أن المعنى المتبادر منها لدى الإطلاق يرجع إلى ثلاث مجموعات، تشتمل كل مجموعة على عدد من الدروس والعبر كما تقدم في هذا البحث.

٣ - أشد ما يصاب به العبد الاستدراج، وهو أن يؤخذ شيئاً فشيئاً حتى يكون قريباً من العذاب تدريجياً، قال تعالى: {فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون} {الأعام/٤٤}، وقال تقدست أسماؤه: {والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون. وأملى لهم إن كيدي متين} {الأعراف/١٨٢ و١٨٣}.

٤- على اختلاف صنوف الفتح وتعدد أنواعه، تبيّن أن أعلى تلك الفتوح وأعظمها فائدة للعبد، ما كان من قبيل فتوح المعارف والهدى، وكل ما هو سبب للوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة.

٥- إن من أشقى الناس وأشدّهم حماقة، من استعجل فتح الله تعالى عليه بالعذاب، فهذا من أجهل الجهالات، وأقبح الضلالات.

٦- حب الدنيا وتعلق القلب بها، حجاب عن قبول الحق، وقد كان هذا من الأسباب المهمة التي حالت بين اليهود وبين اتباع ما كانوا يستفتحون به.

٧- الفتح بعذاب الاستئصال قد عصم الله تعالى منه هذه الأمة، ببركة نبيها الخاتم صلى الله عليه وسلم، وهذا أحد الوجوه في تفسير تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} الأنبياء/١٠٧.

## فهرست أهم المراجع

- بعد القرآن الكريم .
- ١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٥٩١هـ) - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢- أساس البلاغة للإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) - دار الفكر بيروت - سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- ٣- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) - تحقيق محمد علي النجار - دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٤- تاج العروس من جواهر القاموس للعلامة محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) - مطبعة حكومة الكويت.
- ٥- التحرير والتنوير للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) - تونس - دار سحنون للنشر والتوزيع.
- ٦- التعريفات للإمام علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ) - بيروت - دار الكتاب العربي.
- ٧- تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين للإمام ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) - تحقيق أسعد محمد الطيب - نشر مكتبة نزار الباز بمكة المكرمة.
- ٨- تفسير القرآن العظيم للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) - بيروت - دار الكتب العلمية.
- ٩- التفسير الكبير - للإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) - بيروت - دار الفكر.
- ١٠- تفسير مبهمات القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن علي البلنسي (ت ٧٨٢هـ) - تحقيق الدكتور حنيف بن حسن القاسمي - دار الغرب الإسلامي - بيروت.



- ١١- التفسير المظهري للشيخ قاضي محمد ثناء الله باني بتي المظهري (ت ١٢٢٥هـ) - باكستان - المكتبة الحبيبية.
- ١٢- تقريب النشر في القراءات العشر للإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد الشهير بابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) - تحقيق أنس بن محمد حسن مهرة - مطابع البيان التجاري - دبي - الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- ١٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) - دار الفكر - بيروت سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ١٤- الجامع لأحكام القرآن للإمام محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ) - بيروت - دار إحياء التراث العربي.
- ١٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت - سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ١٦- ديوان أبي العتاهية (إسماعيل بن القاسم بن سويد أبو إسحاق ت ٢١٠هـ) - دار صادر - بيروت الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- ١٧- روح المعاني للإمام أبي الثناء محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) - دار الفكر - بيروت.
- ١٨- سنن الترمذي (ت ٢٧٩هـ) - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٩- سنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ) - تحقيق محمد عوامة - مؤسسة الريان - بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- ٢٠- الصحاح في اللغة للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) - تحقيق أحمد عبدالغفور عطار - دار العلم للملايين - الطبعة الرابعة سنة ١٩٩٠م.
- ٢١- صحيح البخاري (ت ٢٥٦هـ) مع شرحه فتح الباري لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) - القاهرة - دار أبي حيان.

- ٢٢- صحيح مسلم (ت ٢٦١هـ) بشرح الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ) - دار البيان الحديثة - توزيع مكتبة الصفا - القاهرة.
- ٢٣- أبو العتاهية .. حياته وشعره للأستاذ جعفر خريباتي - دار الفكر اللبناني بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢م.
- ٢٤- الفائق في غريب الحديث للإمام محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٨٦هـ) دار المعرفة لبنان - الطبعة الثانية - تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم.
- ٢٥- في ظلال القرآن - سيد قطب (ت ١٩٦٦م) - بيروت - دار الشروق.
- ٢٦- القاموس المحيط للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٧- الكشاف للإمام جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) - بيروت - دار الفكر.
- ٢٨- الكليات للإمام أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ) - بيروت مؤسسة الرسالة.
- ٢٩- لسان العرب، للإمام محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (ت ٧١١هـ) - دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى.
- ٣٠- محاسن التأويل للشيخ محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) - بيروت - دار الفكر.
- ٣١- المحرر الوجيز للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤١هـ) - تحقيق عبد الله الأنصاري وغيره - الدوحة - قطر - مؤسسة دار العلوم .
- ٣٢- المحيط في اللغة تأليف صاحب إسماعيل بن عباد (ت ٣٨٥هـ) - تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين - عالم الكتب - بيروت.
- ٣٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي للإمام أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت نحو ٧٧٠هـ) - المكتبة العلمية - بيروت.

- ٣٤ - معاني القرآن للإمام أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) - عالم الكتب - بيروت.
- ٣٥ - معجم مقاييس اللغة للإمام أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) - تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٤١١/١٩٩١.
- ٣٦ - المقتطف من عيون التفاسير للشيخ مصطفى الحصن المنصوري (ت ١٣٩٠هـ) - تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني - دار - دمشق.
- ٣٧ - الموطأ للإمام مالك (ت ١٧٩هـ) - تحقيق الدكتور محمود القيسية - مؤسسة النداء.
- ٣٨ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسين إبراهيم بن محمد البقاعي (ت ٨٨٥هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣٩ - النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ) - تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي - عيسى البابي الحلبي وشركاه - الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
- ٤٠ - لا تحزن للدكتور عائض القرني - مكتبة العبيكان - الرياض - الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

